دور الإرشاد النفسي في تعديل السلوك للمعاقين عقلياً من خلال التعبير الفني المجسم

The role of psychological counseling in modifying the behavior of the mentally disabled through the expressive artistic expression

د. فكري لطيف متولي

جامعة شقراء المملكة العربية السعودية

الملخص:

مما لا شك فيه أن الفن أصبح ضرورة وأهمية اجتماعية للفرد والمجتمع، وليس معنى ذلك أن تقوم المدرسة بإعداد الفنانين. ولكن دفع سلوك المتعلمين وتنمية أفكارهم وغرس القيم الجمالية والاجتماعية والدينية في نفوسهم حتى يصبحوا ذواقين لما يقومون به من خلال ممارسة الأعمال الفنية. وتعد هذه فئة المعاقين عقلياً من الفئات التي بحاجة ماسة لتأهيلهم وفهم ما يدور حولهم وربطهم بالبيئة المحيطة وهذا ما يعرف بالإرشاد عن طريق الفن. إن ممارسات الفن الموجهة إلى أغراض تشخيصية وعلاجية، تقوي دفاعات النفس تجاه مصادر ومسببات الأمراض النفسية، وتساعد المريض على تأسيس ما يسمى بالميكانيكية الدفاعية في سلوك بناء، الأمر الذي يجعل من الطفل يعدل من سلوكه باتجاه ايجابي نحو الأفضل.

والبرنامج المقترح لتعديل سلوك المعاقين عقلياً يعتمد على الآتي:

الطفل المعوق يمتلك حاسة عقلية لها علاقات تجريدية وتكون رسوماته مشتقة من عالم الحقائق الخارجية لأن إدراكه البصري يبدأ من بيئته.

إخراج هؤلاء الأطفال من الاهتمام الضيق بنفوسهم إلى رحاب الحياة الواسعة.

تقديم بعض المهارات الحركية البسيطة التي تساعده على بلوغ مستوى أفضل لان معظم تأثيرات الطفل هنا تأتيه مما تركته الذكريات في نفسه، فالمهارات اليدوية من أكثر البرامج المهمة لدى هذا الطفل.

Abstract:

There is no doubt that art has become a necessity and social importance for the individual and society, not the meaning that the school prepares artists. But to push the behavior of learners and develop their ideas and instilling aesthetic values, social and religious in them to become gourmet for what they do through the practice of art. This is a category of the mentally handicapped of the groups that are in urgent need of rehabilitation and understanding of what is going on around them and linking them to the surrounding environment and this is known as guidance through art. Art practices aimed at diagnostic and therapeutic purposes strengthen the self-defense of sources and causes of mental illness and help the patient establish defensive mechanics in constructive behavior, which makes the child adjust his behavior in a positive direction for the better.

The proposed program to modify the behavior of the mentally disabled depends on the following:

- The disabled child has a mental sense that has abstract relations and his drawings are derived from the world of external facts because his visual perception starts from his environment.
- Taking these children out of the narrow attention of their souls to the vastness of life.

Provide some simple motor skills that help him to achieve a better level.

مقدمة:

ويعتبر مجال رعاية المعاقين عقليا من المجالات الهامة التي تستخدم فيها أساليب تعديل السلوك بشكل أساسي لإكساب هؤلاء الأطفال المهارات اللازمة للسلوك التكيفي وكذلك في معالجة السلوكات غير المناسبة، سواء تلك الأساليب التي تعمل على تقوية ظهور أشكال السلوك المرغوب فيها وتثبيتها، وتشجيع ظهورها باستمرار، أو تلك الأساليب التي تعمل على إضعاف ظهور أشكال السلوك غير

المرغوب فيها، وقد أكدت الدراسات التي أجريت في هذا المجال نجاح فنيات تعديل السلوك في الحد من المشكلات السلوكية لدى الأطفال المعاقين عقليا وفي إكسابهم كثيرا من السلوك الإجتماعي الإيجابي.

ولا يبتعد سلوك المعاق عقلياً عن هذا التعريف كثيراً، ولا سيما أن من خصائصه القصور في الجوانب النفسية، مما يؤدي إلى إظهار السلوك الغير تكيفي في المجتمع المحيط به. ونظراً لأن موضوع التعبير الفني قد شغل اهتمام الباحثين منذ سنوات بعيدة وحتى الآن ما تزال دراسات تحتل مكانة رئيسية في دراساتهم. واهتم علماء النفس أيضا بالمشكلات الجمالية منذ نشأة علم النفس كعلم وظل هذا الاهتمام مستمرا حتى العقود الأولي من هذا القرن ثم تقلص في السنوات الأخيرة فبينما نجد أن علم النفس قد أحرز تقدما هائلا خلال القرن الحالي إلا أن المهتمين بسيكولوجية الحس الفني يتناقص عددهم واسهامهم بصفة عامة **(نفري، 2006، 122)**.

وتعد الأنشطة الفنية التشكيلية، أداه العلاج بالفن، فقد يهدف المعالجون بالفن إلى استخدام الفن، التلقائى غير اللفظى لأغراض تشخيصية وتنفيسية وعلاجية، تساعد المريض على استعادة تكيفه مع ذاته وتوازنه مع المجتمع. وليس بعيداً عنا أساليب الرسم في العلاج النفسي لدى المرضى النفسيين وكيف يتم عن طريقه تحليل الشخصية ومتابعة، وقد اقتربنا في بحثنا من هذا المنحى ولكن باستخدام جانب فني آخر يتماشى مع طبيعة الإعاقة والسن لدى الأطفال المعاقين عقلياً، وهو التعبير المجسم بالعجائن والصلصال الملون.

مشكلة البحث وتساؤلاته:

إن أي عمل فني مع اختلاف المادة المستعملة يحتوي على رموز شكلية تخرج، عن طريق لا شعوري خلال مرحلة الإنتاج الفني، وأن تلك الرموز لها علاقة مباشرة بما يعانيه من ضغوط وتوترات، وحينئذ يبدأ العميل، في تذكر حالات لها علاقة بالرمز وفى هذه الحالة تحدث عملية الإدراك للمشكلة وبناء على ذلك يقوم أخصائي العلاج عن طريق الفن بتصميم برنامج فني الهدف منه محاولة التكيف والتأقلم مع المشكلة وهكذا تحدث عملية العلاج بالفن منذ البداية حتى يصل لحلول على الورق أو من خلال التشكيل.

والجدير بالذكر أن المعاق عقلياً القابل للتعلم يحتاج إلى تدريب منظم لمهاراته، تتكاتف فيه الجهود سواء في المنزل أو المدرسة، داخل الفصل أو خارجه في الأنشطة المختلفة، أو خارج المدرسة في رحلات هادفة،

يستفيد منها الطفل المعاق عقلياً القابل للتعلم بتوجيه المشرف أو المدرس الذي يعتبره قدوة له، وذلك لاستخدامه أبسط الطرق للوصول إلى أفضل النتائج بحيث يحدد أهدافه بناء على القدرات الفعلية للطفل للمعاق عقلياً واحتياجاته المختلفة، لتنمية قدراته العقلية، والشخصية، وتوافقه الاجتماعي، حتى يظهر الطفل المعاق عقلياً القابل للتعلم بصورة لائقة في المجتمع. فيكون لديهم الاعتماد على النفس وإلمامهم بالعديد من المفاهيم. ومن هذا المنطلق يمكن صياغة سؤال المشكلة البحثية على النحو التالي:

هل الإرشاد النفسي له دور في تعديل سلوك المعاقين عقلياً من خلال التعبير الفني المجسم؟

مصطلحات البحث:

- الإرشاد النفسي: الإرشاد عملية تقدم العون لمن يحتاج المساعدة على فهم نفسه وتكيفه مع بيئته وكيفية حل المشكلات واتخاذ القرار، وهو عملية واعية ومستمرة بناءة ومخططة **(الصبان، 2000، 2)**
- تعديل السلوك: يعرفه الباحث اجرائياً بأنه تحديد جوانب القصور التكيفي لدى الطفل المعاق عقلياً، واستخدام فنيات منظمة ومرتبة لكشف هذا القصور وعلاجه.
- التعبير الفني المجسم: يعرفه الباحث اجرائياً بأنه كل شكل ينتجه الطالب المعاق عقلياً باستخدام العجائن وطين الصلصال الملون من خلال عرض أطروحة على الطفل وترك حرية التعبير له.

حدود البحث:

يحدد البحث في إطار المنهج، العينة، الأدوات والأساليب التحليلية المستخدمة وذلك على النحو التالي: -

- المنهج وأداة البحث:

يستخدم البحث المنهج الكلينيكي والمنهج التحليلي مع أفراد العينة، مستخدماً التعبير المجسم كأداة إسقاطيه وتحليلية، واستمارة بيان الحالة الاجتماعية والنفسية وتحليل العمل الفني.

- العينـــــة:

تشتمل عينة البحث على ثلاث أطفال معاقين عقلياً قابلين للتعليم بمدرسة متوسطة حطين (برنامج دمج للمعاقين عقلياً في المدارس العادية) بمدينة الدوادمي – السعودية، تتراوح أعمارهم ما بين 11-12 عام.

الخلفية النظرية والدراسات السابقة:

أن تتعامل مع الشخص المعاق عقلياً فستدرك جيداً أنه لا يجيد الحديث عن نفسه ولا تبرير مواقفه ولا إظهار حالة الحزن والقلق التي قد يشعر بها، ومن هنا كان لابد من ايجاد مدخل آخر إلى نفس المعاق عقلياً يمكن من خلاله كشف ما لا يستطيع البوح به وتوجيه إلى ما نريد من خلال إرشاد نفسي محبب لطبيعته ودرجة إعاقته.

والسلوك الإنساني بصفة عامة لابد أن يكون من أجل تحقيق هدف ما، أو يوجه الفرد استجابته لتحقيق الهدف من خلال سلوكه لإشباع الحاجة المطلوبة. وليس من الضرورة أن يكون الإنسان مدركاً لهدفه بوضوح أو أن يكون معروفاً لديه، ولكن قد يبدو الإنسان لا يعرف ما يريد، حيث يتحرك لإشباع حاجة تتحرك بداخله. وبصفة خاصة الحاجات التي تظهر للإنسان في مراحل نموه العمري أو الوظيفي، ولم يكن لديه خبره سابقة عنها **(حسن، 2004، 53)**.

والواقع أن كلمة السلوك متعددة الجوانب، فتشمل جميع أوجه النشاط العقلي والحركي والانفعالي والاجتماعي الذي يقوم به الفرد، والسلوك يتمثل في النشاط المستمر الدائم الذي يقوم به الفرد لكي يتوافق ويتكيف مع بيئته، ويشبع حاجاته ويحل مشكلاته. وطالما أن هناك حياة فهناك سلوك من جانب الفرد". كما يمكن تعريف السلوك على أنه: " سلسلة من الاختيارات يقوم بها الفرد من بين استجابات ممكنة عند تنقل الفرد من موقف إلى آخر. والسلوك هو كل ما يصدر عن الفرد، وهو يتشابه إلى حد كبير مع اتخـاذ القـرارات" **(فليه وآخرون، 2005، 29-30)**.

وعندما يستعمل أخصائي تعديل السلوك مفهوم السلوك فإنه " يقصد بذلك كل شيء يقوم به الشخص أو يفعله وبالتالي فهو يختلف في نظرته للسلوك عن تلك التي تمارس من قبل الآخرين. فعلى سبيل المثال قد يعني السلوك بالنسبة للمعلم إتباع الطالب تعليماته داخل الصف. وقد يعني إليه حديث الطالب دون السماح له بذلك **(الزريقات، 2007، 48)**.

فعملية تعديل السلوك يعد الاتجاه الذي استمد أصوله من قوانين التعلم ومن البحوث الأساسية في علم النفس ويهدف إلى تغيير السلوك نحو الأفضل أكاديمياً ونفسياً وتربوياً واجتماعياً مستعيناً بإجراءات تعديل السلوك. لذلك فإن تعديل السلوك يعمل من أجل مصلحة الفرد بشكل يرضى عنه المجتمع والذي في النهاية هو من أجل رفاهية الفرد في كافة مجالات الحياة سواء كانت في البحث أو

في مجال علاقات الإنسان الاجتماعية أو في مجال المشاكل النفسية التي يواجهها والتي تعيق تكيفه أو في مجال تعلم واكتساب أو المحافظة على السلوكيات المرغوب فيها (**أبو حماد، 2008، 49**).

ويرى العمايرة أن تعديل السلوك: " مصطلح عام يشير إلى مجموعة من الإجراءات التي انبثقت من قوانين السلوك، وهي القوانين التي تصف العلاقات الوظيفية بين المتغيرات البيئية والسلوك " (**العمايرة، 2002، 14**).

أما الإرشاد النفسي فهو عملية ذات طابع تعليمي تتم وجها لوجه بين مرشد مؤهل ومسترشد يبحث عن المساعدة ليحل مشكلاته ويتخذ قراراته، حيث يساعده المرشد باستخدام مهاراته والعلاقة الإرشادية على فهم ذاته وظروفه والوصول إلى أنسب القرارات في الحاضر والمستقبل (**الشناوي، 1996، 26**).

والإرشاد النفسي للطفل هو عملية المساعدة في رعاية نمو الأطفال نفسيا وتربيتهم اجتماعيا وحل مشكلاتهم اليومية. ويهدف إلى مساعدة الطفل لتحقيق نمو سليم متكامل وتوافق سوي (**زهران، 1998، 153**).

وتعد الأسس التي يجب أن تقوم عليها عملية الإرشاد النفسي كما يلي:

1) الاهتمام بالطفل كعضو في الجماعة والاهتمام به كفرد تقدم له خدمات إرشادية فردية ويجب أن تشمل خدمات الإرشاد الجماعات التي يعيش فيها كجماعة الأسرة والرفاق وغيرها.
2) لا بد من مشاركة الآباء في عملية الإرشاد إلى جانب المرشد النفسي والأخصائي والاجتماعي والطبيب وذلك ضمانا لنجاحها حيث أن كل منهما يكمل الآخر.
3) أن شخصية الطفل هي نتاج تفاعل بينه وبين البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها.
4) أن سلوك الطفل قابل للتعديل والتغيير بمعنى أن الطفل خصوصا في المرحلة الأولى من حياته يكتسب الكثير من خبراته وخصائصه السلوكية التي تكون قابلة للتغير والتعديل.
5) أن لكل طفل قدراته وميوله التي تختلف عن غيره من الأطفال، رغم أن كل مرحلة من مراحل الطفولة تتميز بخصائص معينة على أساس هذه الحقيقة فإنه لا بد وأن تراعى الفروق الفردية بين الأطفال عند تقديم البرنامج والخدمات الإرشادية لهم (**حسين، 2004، 287**).

وحيث أن التشكيل الفني نمط مركب من السلوك يتطلب في جوهره إصدار أحكام علي قيمة شيئ أو فكرة أو موضوع من الناحية الجمالية، ويمكن أن تميز في هذا السلوك بين ثلاث عمليات هي: الحساسية الجمالية، والحكم الجمالي، والتفضيل الجمالي، ويقصد بالحساسية الجمالية استجابة المفحوص للمثيرات الجمالية استجابة تتفق مع مستوي محدد من مستويات الجودة في الجمال، ويقصد بالتفضيل الجمالي نوع من الميل الجمالي الذي يتمثل في نزعة سلوكية عامة لدي المفحوص تجعله يحب (أو يقبل أو ينجذب نحو) فئة معينة من أعمال الجمال أو الفن دون غيرها، ومعني ذلك أن التفضيل الجمالي يتعلق بالأثر الذي تحدثه الأعمال الجمالية في صورة القبول أو الرفض **(عبدالحميد، 1996، 85)** .

أما بالنسبة لمحدودي القدرات يأتي الفن بالدرجة الأولي من الأهمية، فالفن متعة لهم وثقة في قدراتهم الضعيفة لتكوين شيء يتساوى فيه مع غيره لا توجد مقارنة تفرق بين الإنسان العادي والاقل قدرة، فالإبداع يقاس على مدي استمتاع واستفادة المتلقي وليس علي جودة وتقنيات ما يقدم. فالفن يتعامل مع منطقة الإحساس عند هؤلاء الذين حرمهم "الله " من العقل واعطاهم عاطفة جياشة وقدرة على الإبداع فالطفل المعاق ذهنيا إدراكه ضئيل ولكنه يحسن ويجب ويكره وينفعل.

كما أن فنون الأطفال ترتبط ارتباطا وثيقاً بالنمو النفسي والعقلي والابداعي، للطفل المعاق ذهنيا، وليس هدفها صنع فنان ولا صنع لوحة جميلة وإنما تنشد وتهدف إلى تزويد الطفل المعاق ذهنيا بفرص النمو المناسبة التي تستطيع مجالات وموضوعات المواد الأخرى أن تحققها له. ولهذا كان اللجوء إلى الفنون ضروري وملح في حالة المعاقين ذهنيا وتمثل الفنون له محورين هامين المحور الأول وهو التساوي مع العاديين في ممارسة فن من الفنون، المحور الثاني المشاركة والتواجد داخل المجتمع والتأخر في عمل نشاط معين فالفن يتساوى فيه الجميع ولا فرق بين معاق وسليم.

فالأحاسيس الفنية تؤكد قدرات الاطفال على التفكير، وتنمي قدراتهم الابتكارية، وإذا كان هذا حال تعبيرات طفل عادي فإن الطفل ذي الحاجة الخاصة نجد في تعبيراتها فرصة كبيرة للتنفيس عن الضغوط النفسية التي يعاني منها أو تعبيرات المعوقين ذهنيا وفنونهم لا تعد هامه بالنسبة لهم فقط. بل هي أداء فعالة للآباء والكبار والمدرسين والمحللين النفسيين لأنها تعد مرآة تعكس ما يكنه الطالب في وجدانه وما يعتريه من مشاعر وآمال وطموحات، وما يدور في رأسه من أفكار

ومعارف والتي تكشف عن قدراتهم وما يدور في رأسه من أفكار ومعارف ومدركات والتي تكشف عن قدراتهم ومدي تفاعلهم مع العالم الخارجي المحيط بهم (عثمان، 1999، 26).

ولا شك أن التركيز في العلاج بالفن يكون على الفرد، وليس على الناتج الفني فالمعالجين النفسيين يهتمون بإمداد الافراد برؤية عما يعانونه من مشكلات انفعالية، مع تنمية الصحة النفسية، ففي العلاج الجماعي بالفن ثم التدريب داخل الجماعات التسهيل معرفة الذات، وفهم الآليات السيكولوجية الداخلية للفرد. فالمعالجون يساعدون الافراد علي فهم أنفسهم **(Bob , , 4172000)** .

ويمكن تنمية خبرات الطفل المعاق ذهنيا إلي أقصي حدودها الممكنة من خلال انفتاحه على المجتمع والبيئة، بما يحقق له التعامل مع الآخرين وتحويلهم من المواقف السلبية إلى المواقف الإيجابية، وتؤكد عبلة عثمان علي أهمية الإعادة والتكرار مرارا حتى يتم التعلم، ويجب أن يعزز التعليم من فترة إلى أخري لكيلا ينطفئ وتساعد ممارستهم الفنية علي زيادة التركيز والتذكر.

فأنشطة الفنون يمكن أن تخفف من الإحباط الذي يعانيه الاطفال ذوي الإعاقات، فالفن يوفر شكلاً عميقا من التعبير الانفعالي، ويشجع على التحكم في العضلات، والوعي الإدراكي، والشعور بالإنجاز الشخصي (Keichner, 1999,64).

ولا ينكر باحث أهمية الانشطة الفنية الجماعية لدي المعاقين عقليا من حيث إنها تساعد الطفل الانطوائي، شيئا فشيئاَ على اكتساب ثقته بالنفس لاحتكاكه بمن حوله، وتكسب الطفل المعاق أسلوباَ يدفعه إلى مزيد من التكيف فالأعمال الجماعية تساعد على اكتساب مهارات التنافس، وإلي تحمل الضغوط النفسية والمواصلة الاجتماعية، وتهدئة كافة أنواع التعارضات والصراعات التي يعاني منها **(عثمان، 1999: 62)**.

فالمعالجين بالفن يعنون أساسا بتناول التعبير الفني للعميل على أنه تعبير رمزي، يعكس شخصية صاحبه ودوافعه وصراعاته وحاجاته الخاصة وأحاسيسه ومشاعره واتجاهاته وعلاقته بيئته الأسرية والاجتماعية، كما يشجعون العميل على أن يفهم بنفسه مدلولات هذا التعبير ويكتشف كينونته ويدرك ذاته ويعي بها من خلاله، مستخدمين المنتجات الفنية كوسيلة لتسهيل العلاج النفسي، وإذا كانت رغبة الفرد في ممارسة الفن يعد تعبير عن حاجته الصادقة في التعبير عن نفسه والتحرر من مخاوفه وانفعالاته عن طريق التعبيرات الحرة التي تكون اقرب للخيال منها إلى الواقع

لذلك وجد أن الفن من هذه الناحية يعد بمثابة العلاج الناجح للتخلص من المخاوف واستعادة الراحة النفسية.

كما يشير إلى أن الفنون من الطرق التي يلجأ إليها الطفل للتعبير عن مشاعره بصورة ملموسة وبهذا يكون النشاط الفني وسيلة فعالة في علاج اضطرابات الأطفال الانفعالية، حيث تستطيع أن نرى من خلاله كيف يفكر الطفل كما يستطيع المربون أن يكتشفوا عدد من الخصائص والملامح لفهم الأطفال من خلال نشاطاتهم الفنية، ويتم التركيز على تفسير المعاني والأبعاد اللاشعورية للأشكال والرموز المتضمنة في التعبير وملاحظة العلاقة الوثيقة بينها وبين الشخصية وإن القاعدة الأساسية للعلاج بالفن وهى قبول كل الاستجابات والنواتج بصرف النظر عن مسألة الجودة الفنية فيما ينتجه العميل من أشكال تعبيرية فنية (**القريطى، 1995**).

وسرعان ما ينخرط الطفل في النشاط الفني حين تتاح له الفرصة مسقطا كل رغباته وآماله ومخاوفه ومشكلاته فيجد المتعة، التي تدفعه للمزيد والمزيد من التعبير عن الذات، ولقد اهتمت الدراسات والبحوث الخاصة بالعلاج النفسي بالفن في تشجيع وتطور العلاقات الشخصية الإيجابية، وجعل هذه العلاقة جادة ومتطورة بين كل من المعالجين بالفن ومرضى الاضطرابات السلوكية وبشكل عام فإن تدريبات العلاج النفسي بالفن تركز على مواقع العلاج ذاتها وعلى الاتصال بين الطرفين.

ومن اهمية التعبير الفني في المجالات العلاجية ما يلي:

- أن التعبير الفني تظهر أهميته في الحالات التي لا تحسن التعبير عن نفسها لفظيا.
- التعبير الفني يعتبر الآن أساساً من أسس التشخيص والعلاج للمرضى النفسيين، وهي عمليتان متضامنتان، ففي أثناء التعبير يتم التنفيس ومن خلال النتائج يتم التشخيص.
- أن العلاج بالفن وسيلة لإشباع الحاجات بالنسبة للمريض، فكل المواقف تناسب حاجات وقدرات الأطفال المعوقين بوجه عام.
- العلاج بالفن يقوى دفاعات النفس ويساعد المريض ليؤسس ما يسمى الميكانيزمات الدفاعية في سلوك بناء، كما يتعلم دفاعات جديدة.
- سلوك العميل أثناء قيامه بالتعبير من خلال وسائل الفن التشكيلي يؤخذ في الاعتبار، وكذا تعليقاته اللفظية التلقائية، أو أثناء استجوابه عما رسم، وتعبيرات الوجه وطرق تناوله للقلم والورق، وحركات

جسمه ...الخ إذ يفترض أن هذا السلوك يمثل استجابة المريض الانفعالية للعلاقات والمواقف والحاجات والضغوط التي يشعر بها.

- فالأنشطة الفنية تساعد في غرس وتنمية الخصائص والأنماط السلوكية اللازمة للتفاعل وبناء العلاقات الاجتماعية المثمرة مع الآخرين وتحقيق التوافق الاجتماعي لدى ذوي الاحتياجات الخاصة وإكسابهم المهارات التي تمكنهم من الحركة النشطة فى البيئة المحيطة والاختلاط والاندماج في المجتمع، وأيضا تمنحهم شعورا بالاحترام والتقدير الاجتماعي، أيضا تشبع احتياجاتهم النفسية. **(عبد العزيز، 1997، 85).**

فالفن يحتل مكانة بارزة في علاج الاضطرابات السلوكية للأطفال ويكاد يكون من العسير معرفة ديناميكية شخصية الطفل دون الاستعانة بالرسم، فالطفل يعبر بالأنشطة الفنية أكثر من تعبيره لفظيا بحيث يعجز عن صياغة معاناته الداخلية لفظيا بسبب قلة وعيه بالاضطرابات السلوكية التى يعاني منها، لكنه يعبر عنها بفصاحة من خلال مختلف أشكال النشاط (اللعب – الأنشطة الفنية التشكيلية).

اجراءات الدراسة الميدانية:

- قام الباحث من خلال إشرافه على طلاب التدريب الميداني بالمستوى الثامن بقسم التربية الخاصة بكلية التربية بالدوادمي، باختيار ثلاث طلاب معاقين عقلياً يدرسون في برنامج التخلف العقلي المدمج في مدرسة متوسطة حطين بمدينة الدوادمي.
- عرض الباحث على الطلاب الثلاثة المعاقين عقلياً أن يعبروا من خلال العجائن والصلصال الملون عن كل ما يدور في خاطرهم أو يحلمون به أو يتمنونه في عمل مجسمات ونماذج مختلفة من العجائن.
- قسم الباحث التشكيلات الفنية المجسمة للطلاب الثلاثة المعاقين عقلياً، وأعطى كل عمل رمز على النحو التالي: (تشكيل (أ) – تشكيل (ب) – تشكيل (ج).
- قام الباحث بتحليل التشكيل المجسم لكل طالب على حده من خلال فنيات تحليل الأعمال الفنية المجسمة، وعمل دراسة حالة عن كل طالب على حده تجمع بين مظاهر بيئته ونشأته وأسرته، وما خرج منه من منتج فني مجسم، والربط بين تاريخه الاجتماعي والنفسي وتحليل عمله الفني المجسم.
- تحديد مظهر سلوكي لكل طالب يرغب الباحث في تعديله، ثم عقد عدة جلسات مع كل طالب حول طبيعة السلوك الغير توافقي أو الغير تكيفي مع المجتمع والذي ظهرت معالمه من خلال دراسة الحالة وتحليل العمل الفني المجسم.

- يطلب الباحث من كل طالب اعادة العمل الفني المجسم لتحليل أبعاده مرة أخرى، وعمل تقرير آخر، قسم الباحث التشكيلات الفنية المجسمة للطلاب الثلاثة المعاقين عقلياً، وأعطى كل عمل جديد رمز على النحو التالي: (تشكيل (أ2) - تشكيل (ب 2) - تشكيل (ج2). ثم يحلل الباحث محتوى التقريرين للخروج بنتائج حول جدوى الارشاد النفسي في تعديل السلوك من خلال التعبير الفني المجسم.

نتائج الدراسة:

- تحليل الأعمال الفنية (أ، أ2):

يتضح من استمارة دراسة الحالة الاجتماعية والنفسية للطالب أن لديه قصور في فهم طبيعة الرجل وطبيعة المرأة ودور كل منهما في الحياة، وأن العمل الفني المجسم (أ) أوضح الطالب فيه امرأة ترتدي غترة، وبعد 3 جلسات مع الطالب أوضح الباحث له اختلاف طبيعة الرجل عن المرأة في الملبس والمهام وطبيعة الخلقة، قام الطالب في العمل الفني المجسم (أ2) بتشكيل امرأة حامل، وحينما طلب منه الباحث تشكيل رجل. قام الطالب بتشكيل رجل ذو لحية طويلة. وبهذا يكون الطالب قد قام في العمل الثاني بتعديل السلوك القاصر لدية في طبيعة الرجل والمرأة بالمبالغة في خصوصية الفعل لدر الرجل ولدى المرأة.

ويلاحظ الباحث أنه مع مراعاة الفروق الفردية بين الطالب المعاق وبين الآخرين ومن خلال مقارنة مستواه الحالي بمستواه في السابق. فالأفراد تختلف كما تختلف القدرات حتى وإن كان الفرد المعاق عقلياً. فهو يختلف عن أقرانه من نفس نوع الإعاقة ونفس درجتها فكل منهم له حقه في الحياة والاستمتاع بها، وإظهار مواهبه، والاندماج في المجتمع ليكون عضواً فعالاً. وعلى المجتمع أن يتقبل ذلك الفرد ويعطى له الفرصة كاملة لممارسة الحقوق وذلك لمزيد من التوعية لجميع أفراد المجتمع. والطفل المعاق عقلياً القابل للتعلم عندما يأخذ فرصته في الاختيار فتظهر مقترحاته لحين التنفيذ وعندما يبدأ يشعر بسعادة وتزيد ثقته بذاته وبالآخرين.

- تحليل الأعمال الفنية (ب، ب 2):

يتضح من استمارة دراسة الحالة الاجتماعية والنفسية للطالب أن لديه قصور في استيعاب حجم الانسان بالنسبة للحيوان أو للسيارات، وأن العمل الفني المجسم (ب) أوضح الطالب فيه أن الانسان أكبر حجما من الجمل والفيل والسيارة، وبعد جلستين مع الطالب أوضح الباحث له اختلاف طبيعة حجم الأشياء بالنسبة لإنسان وأن هناك أشياء أكبر منه حجما وأشياء أصغر من خلال الصور المتعددة، قام الطالب في العمل الفني المجسم (ب 2) بتشكيل شخص يركب جمل راعى فيه تناسب

المجم بين الانسان والجمل. وبهذا يكون الطالب قد قام في العمل الثاني بتعديل السلوك القاصر لدية في تناسب حجم الإنسان بالنسبة لباقي الأشياء التي يعرفها الطالب.

لاحظ الباحث أن باستخدام التعبير الفني ربما تتاح الفرصة للفرد المعاق عقلياً القابل للتعلم لعرض أعماله الفنية (المجسمة والمسطحة) على أفراد أسرته أو أفراد المجتمع، فيشعر بالفخر وبأنه لا يقل أهمية عن باقي أفراد الأسرة أو المجتمع لذا تعتبر الأعمال الفنية من وسائل التواصل، والتعبير عن المشاعر، والمفاهيم، والرؤى المستقبلية، والطموحات البسيطة، والتي تدل على البراءة مدى الحياة. وكذلك استخدام التدعيم المشجع والمناسب للمرحلة العمرية التي يعيشها كل فرد، يساعد على زيادة نسبة الاندماج في المجتمع. ومن الأهمية احترام العمر الزمني للفرد المعاق عقلياً القابل للتعلم، وتقديره ومعرفة متطلباته الجسمية والنفسية والاجتماعية مع ضرورة أخذ العمر العقلي بعين الاعتبار.

- تحليل الأعمال الفنية (ج، ج2):

يتضح من استمارة دراسة الحالة الاجتماعية والنفسية للطالب أن لديه موهبة مميزة في دقة التشكيل الفني المجسم للصلصال الملون، مما دفع الباحث لطلب العديد من التشكيلات الفنية المجسمة التي يجيدها الطالب (ج) ، ولاحظ الباحث أن جميع أعمال الطالب تنحصر في تشكيلات الجنود والعساكر واستخدام الآت الحرب، وقد يرج ذلك لأن والد الطالب يعمل في جهة عسكرية، وكان الطالب يتجه في كل تشكيلاته للجوانب الدموية، ومع توجيه الباحث للطالب من خلال 6 جلسات إرشادية كحالة ثرية لأي باحث علمي، وجه خلالهم لاستغلال موهبته في الأعمال البنائية والمساعدات بدلا من التخريب والدم، فقام الطالب في العمل الفني المجسم (ج2) بتشكيل عدد من العساكر يحملون المرضى وينظمون المرور. وبهذا يكون الطالب قد قام في العمل الثاني بتعديل السلوك العنيف والدموي لسلوك متحضر بناء.

ومن خلال ملاحظات الباحث على عمل الطالب المعاق عقلياً القابل للتعلم أن هناك تعبيرات فنية تتسم بسعادة وفخر، فالطالب لدية شعور أن له حق في الحياة والاستمتاع بها والاندماج في المجتمع. ليكون عضواً فعالاً فيه وليس عالة عليه. ويبدأ في تكوين أسلوبه الخاص الذي يميزه ويعبر به عن رغباته ومشاعره ويمثل التعبير الفني كمادة مسلية ومبهجة بصورة تعليمية ومبنية على أساس علمي. فهو يساعد على تنمية القدرات المختلفة للطفل المعاق عقلياً القابل للتعلم وتطورها للأفضل. وذلك التطور والنمو يتحقق بالاستخدام الأمثل لتلك القدرات في أقصي كفاءة لها، وأيضاً توظيف تلك القدرات في الوقت المناسبة، والمكان المناسب لها وذلك يؤدي إلى ارتفاع الروح المعنوية للفرد وانخراطه في المجتمع بإيجابية.

مناقشة وتفسير النتائج:

يلاحظ أن التعبيرات الفنية تعتبر عن شخصية صاحبها، ودوافعه وصراعاته وحاجاته وأحاسيسه ومشاعره وعلاقته الاسرية والاجتماعية، وهناك علاقة بين الرموز والشخصية، فقد ظهرت بوضوح مساهمة الفن فى التكامل

النفسي والعقلي والبدني تشخيصا علاجيا. وقد اتفقت دراستي أبو عطوة (2005) والمحلاوي (2006) في أن الرسوم التلقائية التي هي نتاج للخيال، وما هي إلا إشباع لرغبات مكبوتة للكشف عن اللاشعور المتنكر تحت الدوافع، وأن الرغبات سواء شوهدت أو كبتت أو حققت ولو بطريقة جزئية فلها احتمال إثارة الأحلام والخيالات وأنشطة الجسم المختلفة، ولا يتحقق من خلال ذلك قدر من الحرية والتخفيف عن التوتر بالرغم من أن القيمة الحقيقية هي محاولة إيضاح المخاوف والانفعالات المكبوتة وصياغتها في نظام مرئي حتى يمكن قراءتها وتحليلها".

وقد أوضحت دراسة كارينز Karnes (2004) أن الأنشطة الفنية من الوسائل الاسقاطية التي يكشف من خلالها على خصائص الطفل، من خلال إسقاط مشاعره الدفينة ورغباته واحتياجاته وصراعاته بأسلوب رمزي يرضى عنه المجتمع. ورسوم الأطفال تمثل حاجة ضرورية غالبا ما تكون لا شعورية عن الكثير من رغباته وحاجاته التي لا يستطيع التعبير عنها في الواقع لكي يخفف من التوتر والقلق الناتجين عن رفض العالم الخارجي لهذه الرغبات أو الحاجات، مثل عدم القدرة على رد العدوان الأكبر منه وشعوره بالعجز والدونية تجاههم، كل هذه العوامل تجعله في أشد الحاجة للتعبير عن انفعالاته المحبوسة بطريقة تضمن له إرضاء من حوله وعدم عقابهم له.

وهذا ما أوضحته دراسة نشأت (1994) عن علاقة الفن بالعدوان، حيث يسقط الطفل كثير من مخاوفه ورغباته المكبوتة أثناء تعبيراته الفنية، مما يحقق له الراحة النفسية والاتزان الانفعالي، لأنه يكون قد تخلص من بعض المكبوتات التى قد تسبب له القلق، وتضيف دراسة إبراهيم (1999) أهمية قصص الأطفال كأحد الإسقاطات النفسية، حيث يسقط الطفل مخاوفه من خلال الأنشطة الفنية لأنه لا يفصل بين الواقع والخيال، حيث يمزج بينهما من خلال تصوراته وخيالاته الطفولية ويرجع ذلك إلى تميز الفن بالقدرة الرمزية للتعبير. فإن رغبة الطفل في ممارسة فنونه ليست رغبة سطحية جوهرها التقليد، إنما هي رغبة نابعة من التعبير عن نفسه والتنفيس عن بعض مخاوفه، واسقاطها في أنشطته الفنية فالطفل حينما يمارس فنونه وألعابه إنما يعمل عمل الفنان المبدع فهو يحيل فنونه بما يحمله من رموز وتحريفات وتكوينات إلى عالم خاص يعيد فيه ترتيب الأشياء والأوضاع فتراه يبالغ ويصغر ويهمل ويحذف بعض العناصر التي لا تمثل أهمية خاصة لديه حتى يستطيع التعبير عن وجهة نظره.

وأكدت دراستي عبد العزيز (2000) وعبد الإله (1997) أن الأشغال اليدوية الفنية كشفت العلاقة بين الأشياء التي يعبر عنها الطفل فى لعبة بالخامات، وبين حياته الشخصية، فقد قاموا بالكشف عن شخصيات الأطفال والتعرف عليهم من خلال ألعابهم، فاستخدموا اللعب بالخامات كأحد الوسائل الاسقاطية التي تساعد على الكشف عما يكمن داخل نفوس الأطفال. فالتعبير الفني في هذه الحالة وسيلة إسقاطيه، يعكس من خلالها الطفل مفهومه عن الذات وعن الآخرين، ومدى علاقته بهم واتجاهاته نحوهم، كما يعكس ما قد يحمله في داخله من حاجات ومشاعر وانفعالات ومخاوف فى صورة مرئية مستعينا على ذلك بمختلف الأساليب والصيغ البلاغية التشكيلية "كالإهمال والتصغير والحذف والمبالغة ومن ثم فإن الخطوط الناتجة أيا كان نمطها وطبيعتها تزودنا ببعض المعلومات

عن صاحب الرسم، كما أن مستوى الرسم كشف لنا بدرجة كبيرة تلك الطريقة التي يدرك بها الطفل ذاته إضافة إلى الآخرين في حياته.

وهكذا يتضح أن رغبة الطفل في ممارسة الفن ليست رغبة سطحية إنما هي نابعة من رغبته في التعبير عن نفسه والتنفيس عن مشاعره ومخاوفه واسقاطها في الأنشطة الفنية المختلفة، لتعكس حياة الطفل النفسية بوضوح، لأنه يعبر عن أفكاره بعيدا عن اللاشعور بطريقة تلقائية رمزية، وبذلك يخفف من التوترات والكبت الذى قد يؤدى به إلى حالات من الاضطرابات الانفعالية لا تهدأ إلا إذا عبر عنها بطريقة رمزية، من خلال الأنشطة الفنية المختلفة التي تعتبر بالنسبة له لغة تشكيلية مفرداتها الخطوط والألوان "فالطفل قد يتعرض لضغوط من المجتمع تتمثل في الاحباطات المتعددة التي يشعر بها نتيجة عملية التطبع الاجتماعي والتربية، لذلك يشعر الطفل بضرورة التخفيف من حدة هذا الأعباء وإلا تعرض لنوع من القلق والتوتر النفسي، وتقلل الأنشطة الفنية من هذه الضغوط وتعطى الفرصة للتعبير عن النفس وذلك من خلال المشاركة الإيجابية للطفل في هذه الأنشطة من ناحية، ولقدرتها على التوفيق بين الخيال والمنطق من ناحية أخرى، والتوصل إلى النضج الانفعالي عن طريق التحرر من الخوف والتخفيف من الضغوط النفسية المختلفة التي يتعرض لها".

إن الفن مهما اختلفت أساليبه أو طرائقه ما هو إلا وسيلة من وسائل التعبير عن النفس بكل ما تحتويه من مشاعر وأفكار وخبرات يتعلم عن طريقها الكثير من المعارف والسلوكيات التي تساعده على النمو النفسي والعقلي والاجتماعي، فالفن بأنشطته المختلفة يساعد الأطفال على الإفصاح عن مشاعرهم المكبوتة التي لا يستطيعون التعبير عنها لأي سبب من الأسباب. كما يساعد النشاط الفني الفرد على التعامل مع من حوله، ويزيد من شعوره بالرضا عن نفسه وثقته فيها، وذلك لأنه يوفق بين الاتجاهات الفردية والاجتماعية في آن واحد، فهو يجد لذة شخصية أثناء ممارسته لهذا العمل، ولذة جماعية أثناء رضا المجتمع عما أنتجه من أعمال فنية، كما يوفر الفن نوعا من التوازن بين اتجاهات الفرد العقلية والانفعالية والفكرية والحسية وبين الوعي واللاوعي.

فالتعبيرات الفنية تؤكد قدرات الطلاب على التفكير، كما يجب تفسير التغيرات الحاسمة في تعبيرات الاطفال الفنية – بمعني اكتشاف الاسباب والعوامل والقوي التي أدت إلى هذه التغيرات. ومنها عوامل الجنس والقدرات العقلية، التحكم في التغيرات السلوكية للأطفال المعاقين ذهنيا في الفن ولذلك يمكن توجيه الطفل من الناحية الفنية والتربوية والنفسية لتعديل السلوك الغير تكيفي واللاتوافقي.

قائمة المراجع:

(1) إبراهيم، محمد أحمد أحمد (1999) **فاعلية قصص الأطفال في تنمية جوانب النمو للمعاقين عقلياً القابلين للتعلم، رسالة ماجستير**، كلية التربية، جامعة جنوب الوادي.

(2) أبو عطوة، سامي جلال (2009). **فاعلية أنشطة الرسم المتعددة لتنمية بعض المهارات الشخصية والاجتماعية للمعاقين عقلياً**، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة أسيوط.

(3) أبو حماد، ناصر الدين (2008). **تعديل السلوك وأساليب حل المشكلات السلوكية**، ط2، عالم الكتب، الأردن.

(4) حسن، محمد عبد الغني (2004). **مهارات إدارة السلوك الإنساني**، متطلبات التحديث المستمر للسلوك، ط2، مركز تطوير الأداء والتنمية، القاهرة.

(5) حسين، طه عبد العظيم (2004). **الإرشاد النفسي**. دار الفكر. عمان

(6) الدر ، إبراهيم فريد (1415). **الأسس البيولوجية لسلوك الإنسان**، الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان.

(7) زهران، حامد عبد السلام (2002). **دراسات في الصحة النفسية والإرشاد النفسي**. عالم الكتب. القاهرة.

(8) الشناوي، محمد محروس (1996). **نظريات الإرشاد والعلاج النفسي**. دار غريب. القاهرة.

(9) الصبان، انتصار (2008). **الإرشاد النفسي ودوره في بناء شخصية متوافقة**. دمشق، دار مزين.

(10) عثمان، عبلة حنفي (1999). **الفن فى عيون بريئة**، المجلس القومي لثقافة الطفل.

(11) عبد العزيز، مصطفى محمد (1997). **التربية الفنية للفئات الخاصة**، القاهرة، دار الكتب.

(12) عبد العزيز، ماجد عوض (2000). **الكشف عن السمات المميزة لأعمال الخزف للأطفال المتخلفين عقلياً بدرجة المتوسط في مرحلتي الطفولة المتأخرة والمراهقة المبكرة**. رسالة ماجستير، كلية التربية الفنية. جامعة حلوان.

(13) عبد الإله، جيلان محمد (1997). **برنامج مقترح فى مجال الأشغال الفنية لتدريب طلبة التأهيل المهني المتخلفين عقلياً لإكسابهم بعض المهارات**، رسالة ماجستير، كلية التربية النوعية بالدقي.

(14) العمايرة، محمد حسن، 2002م / 1423هـ، **المشكلات الصفية (السلوكية ـ التعليمية ـ الأكاديمية ـ مظاهرها ـ أسبابها ـ علاجها)**، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان.

(15) عبد الحميد، عايدة (1996). **الفن العشوائي للأطفال وعلاقته بالسلوك الاجتماعي لديهم**، رسالة ماجستير، كلية التربية جامعة حلوان.

(16) نخري، عبلة شديد (2006). **أثر المستوى الاجتماعي والثقافي على فنون طفل ما قبل المدرسة**، مجلة الدراسات التربوية، جامعة بغداد، المجلد الأول، العدد الرابع ص ص. 118-144.

(17) فليه، فاروق عبده وعبد المجيد، السيد محمد (2005). **السلوك التنظيمي في إدارة المؤسسات التعليمية**، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان.

(18) القريطى، عبد المطلب أمين (1995). **مدخل إلى سيكولوجية رسوم الأطفال**، القاهرة، دار المعارف.

(19) المحلاوي، نادرة أحمد (2006). **دراسة تنمية إمكانات الطفل المتخلف عقلياً من خلال توظيف بعض التخصصات النوعية**، رسالة ماجستير، كلية التربية النوعية، جامعة القاهرة.

(20) نشأت، منال سلماي (1994). **أثر استخدام الفن التشكيلي في خفض السلوك العدواني لدى عينة من مرضى التخلف العقلي، دراسة ماجستير**، كلية التربية الفنية، جامعة حلوان.

(1) Bob- D- O., (2000). "An Exprimental study to Determine Success of Performance with Selected Woadworking Hand Tools by Children with Specilic Learning Handicaps."

(2) Karnes, Arnel W. (2004). "Art Crafts for slow Learners", Instructor Handbook Series, the Instructor Publications, Inc., 5 Bank Street, Densiville, New York.

(3) Keichner, Thomas A, (1996): "Art History, Criticism, and the TMR art Experience for Trainable Mentally Retarded Students" Journal Articles of school – Arts, V 90 ny P.33- 34, Dec. 1996.